وطاعة نفسه فان في خطابه تعالى اياهم من دهشة المخاطب وعجزه عن التزام الجواب ما ليس في خطابه
عليه السلام بذلك قوله خطاب للرسول والامة سواء كانت الامة امة دعوة او اجابة
فيكون كلمة في قوله منكم للتبعيض فان الذين صحو منهم الايمان وقت نزول الاية بعض الامة مطلقا
واما اذا كان خطاب منكم له عم ولمن معه من المؤمنين فيكون من للبيان لا للتبعيض لان
الموعود لهم هم المخاطبون لا بعض منهم قوله بالتمويه والتثبيت متعلق بقوله وليمكنن لهم
المراد بتمكين الدين تقويته واظهاره على الاديان كلها لانه تعالى لما اعز الاسلام ونصر المسلمين
على اعداء الدين واورثهم ارض الكفرة وديارهم وجعلهم خلفاء اهلها بالتسلط والاستيلاء
لا جرم يظهر المسلمون دين الاسلام متمكنين في الارض مستولين عليها فيعلو الاسلام على سائر الاديان
وتقرر وقراءة العامة كما استخلف بناء الفاعل وقرأ ابو بكر على بناء المفعول فالموصول على الاول
منصوب وعلى الثاني مرفوع وقراءة العامة وليبدلنهم بفتح الباء وتشديد الدال وقراءة ابن
كثير وابو بكر بسكون الباء وتخفيف الدال من ابدله اصلاحا بعد فتح ... صلاحا
بدل النحو وتبال بدله الله من الخوف قال ابو العالية في هذه الاية مكث النبي صلعم اسام
بعد الوحي بمكة عشر سنين مع اصحابه امروا بالصبر على اذى الكفار وكانوا يصبحون ويمسون
خائفين ثم امروا بالهجرة الى المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق احد منهم سلاحه
فقال رجل منهم اما ياتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فانزل الله تعالى هذه الاية
قوله للاخبار عن الغيب على ما هو به فان الاستخلاف الموعود لا شك انه غيب وقد وجد
هذا الموعود على الوجه الموافق للخبر فكان هذا الخبر معجزا دليلا على صدق دعوى النبوة ثم انه تعالى وعد
الذين امنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين وقت نزول الاية بل صحح المعنى في قوله امنوا
وعملوا الصالحات وخطابا بالمشافهة في قوله منكم ان يستخلفهم استخلافا كاستخلاف بني اسرائيل ...
وانهم بعد الجبابرة وهذا الموعود عليه الذي هو الايمان والعمل الصالح لم يجتمع بعد الخلفاء
الراشدين بالاجماع فهم المستخلفون في الارض استخلافا اسر لكما اياهم واختيارهم على غيرهم فان قلت
كيف صح ان يقال المستخلفون هم الخلفاء فقط وسائر المؤمنين كانوا اشركا ... في ذلك قلت
كانوا هم الاصول والملوك وسائر الناس اتباعا لهم في ذلك فكانوا هم المستخلفين لا غير ودل حصول
في ايامهم الفتوح العظيم وحصل التمكين وظهر الدين والامن فدلت هذه الاية على صحة خلافة
الخلفاء ثم الخلافة بعده ثلثون سنة ثم يكون ملكا وكانت خلافة ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشرا
وخلافة عثمان اثني عشر وخلافة علي ست سنين رضي الله عنهم اجمعين قوله وقيل الخروج ...
عطف على قوله من بعد خوفهم من الاعداء امنا منهم قوله او كفر هذه النعمة قال المفسرون اول

اول من كفر هذه النعم وجحد حقها الذين قتلوا عثمان رض فلما قتلوه غير الله تعالى ما بهم من الامن وادخل
عليهم الخوف الذي رفعه عنهم حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا متحابين قوله ولا يبعد
عطف ذلك يعني لانها بعد بين المتعاطفين وتخلل الفاصل المستطيل بينهما لا يمنع العطف لانه
يبتني على حصول المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفاصل يؤكد المغايرة لان المجاورة
مظنة الاتصال والاتحاد بخلاف المضاف والمضاف اليه فان شدة اتصالهما مانعة
من توسط الفاصل بينهما مع ان للفصل ههنا فائدة جليلة وهي الاشعار بان الجملة
المتخللة وهي قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم الاية مما يهتم بشأنه وانها متصلة بمعنى
المعطوف عليه وهو قوله تعالى فان تولوا كانه قيل فان تتولوا عن طاعته فما ضررتموه و
انما ضررتم انفسكم لانه عليه السلام قد خرج عن عهدة ما كلف به واما انتم فقد بقي عليكم ما
كلفتم به من الاطاعة والانقياد على تقدير توليكم فيؤاخذكم الله تعالى بذلك في الدنيا والاخرة
اما في الدنيا فبان يستخلف اهل الايمان والطاعة ويسلطهم على اهل التولي والعصيان ويقهرهم
بايدي المؤمنين بان يستأصلهم بالمرة فكان الفاصل من تتمة المعطوف عليه قوله
ولا يبعد تشعر بانه يجوز ان لا يكون معطوفا على قوله واطيعوا الله ولعل وجهه ان يكون قوله
واقيموا من باب الالتفات من الغيبة الى الخطاب كانه قيل يعبدونني ولا يشركون بي شيئا
ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة والذي يحسن هذا الالتفات الخطاب الذي في
قوله قبل ذلك منكم وعطف اقام الصلوة وايتاء الزكوة على قوله يعبدونني ايذانا بشرفهما
ومزيد قدرهما عند الله لانه من باب عطف جبريل على الملائكة قوله وتعليق الرحمة بها
بعد ان يكون المعنى اطيعوا الرسول على رجاء الرحمة قوله او بالمندرجة فيه اي تعليق
لمجموع الامور التي اندرجت فيه طاعة الرسول على ان يكون المعنى افعلوا هذه الامور على رجاء
الرحمة كما علق الهدى في طاعته في قوله واطيعوه تهتدوا قوله لا تحسبن يا محمد قراءة
العامة لا تحسبن بتاء الخطاب ومثل هذا الحسبان وان كان لا يتصور منه عم الا انه نهي عنه
مبالغة في تسليته ولان خطابه في حكم خطاب امته لكونه رئيسهم واماما لهم ومفعولا الحسبان
هو الاسم الموصول مع قوله معجزين وفاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون لا تحسبن خطابا
عاما لكل من يصح ان يكون مخاطبا وهذه الاية تسلية للنبي عم عن تكذيب قومه وايذاءهم والمعنى
لا تحسبنهم يسبقوننا اي يفوتون عذابنا فانهم لا حق بهم لا محالة اما عاجلا واما اجلا وذكر
على القراءة بياء الغيبة لهذا وجهان الاول ان يكون فاعل الحسبان ضمير النبي عم والذين كفروا معجزين مفعوله
اي لا يحسبنهم النبي معجزين في الارض والثاني ان يكون الفاعل الذين كفروا وفي المفعول حينئذ ...

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)